المقال الأدبي

دراسة ونصوص

الدكتور يسري العزب



إهداء

إلى أول الأصدقاء وآخرهم ...

إلى أول المعلمين وأذكاهم ...

إلى من يدفعنى منذ ولدت ... على طريق الحق

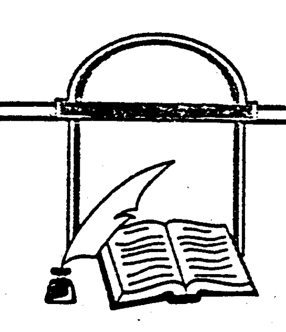
إلى والدى الحبيب الحاج / عبد العزيز العزب

حبا وتقديراً واعترافاً ووعداً

باستمرار المواصلة على الطريق ...

يسرى العزب

نوفمبر ١٩٩٤

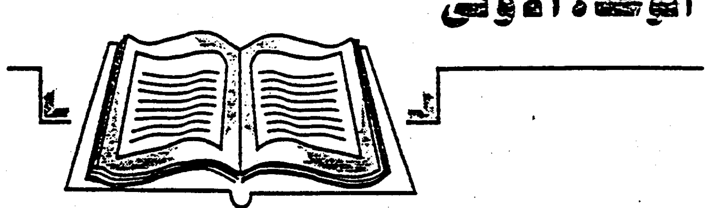


مقدمة

هذه محاولة كتبت فى عجلة لتكون بينى يدى أبنائى الطلاب والطالبات بكليتى الآداب والتربية بجامعتى الزقازيق والقاهرة يبدأون من خلالها التعرف على أحد فنوننا الأدبية الحديثة وهو (فن المقال الأدبى). وما هى إلا خطوة أسيرها معهم على أول الطريق .. عسانا نستطيع - فى المستقبل - أن نستكنه كل أسرار هذا الفن الجميل.

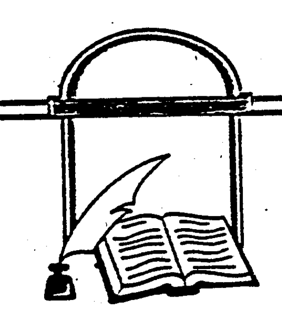
يسرى العزب

الوحدة الأولى



المقال الأدبى

(دراسة تاريخية وفنية)



المقال الأدبى

(١)

المقال لغوياً كما ورد فى (لسان العرب) هو القول :

«قال يقول قولا وقيلا وقولة ومقالاً ومقالة»[١] . هذا ما جاء فى (لسان العرب) مقال أو مقالة بمعنى (قول).

وجاء فى معجم آخر عن المعنى اللغوى لكلمة المقال : «القول مصدر والقول والقال اسمان له. أو قال قولا وقيلا وقولة ومقالة ومقالاً فيهما»[٢].

ويؤكد الشعر العربى القديم هذا المعنى اللغوى فى قول حسان بن ثابت :

---

(١) لسان العرب ص ١٤.

(٢) القاموس المحيط ص ٢.

ما إن مدحت محمداً بمقالتى   لكن مدحت مقالتى بمحمد

فالمقالة فى البيت هى القصيدة.

ومن قبل حسّان قال النابغة الذبيانى :

وأخبرت خبر الناس أنك لمتنى   وتلك التى تستك منها المسامع

مقالة إن قلت سوف أناله   وذلك من تلقاء مثلك رائع

ومن بعدهما قال الحطيئة مخاطبا الخليفة الثانى عمر بن الخطاب :

تحنن علىّ هداك المليك   فإن لكل مقام مقالا

ثم تدرج العرب فى استخدام المفردة نفسها إلى ما يقترب من المفهوم المعاصر للكلمة بمعنى (مذهب دينى) أو (فلسفى).

فكان المؤلف يقسم كتابه إلى مقالات أى فصول يعالج كل منها مذهبًا أو اتجاهاً ... فأبو الحسن الأشعرى ـ الذى يسمى كتابه (مقالات الإسلاميين) ـ يقدم أحد المذاهب الإسلامية فى كل مقالة أو (فصل).

وفى (الإبداع والمؤانسة) درّة أبى حيان التوحيدى نقرأ فى حديثه عن الصاحب بن عباد الله إن الرجل كثير المحفوظ، حاضر



الجواب، فصيح اللسان، ومتشبع لمذهب أبى حنيفة ومقالة الزيدية(١).

أما المقال والمقالة بالمفهوم المعاصر، الذى يجعلها فناً أدبيًا مستقلاً فتعنى إصلاحًا : الكتابة الأدبية فى موضوع محدد يستخدم صاحبه أسلوب الخطاب المباشر مع القارئ ـ للصحيفة أو المجلة ـ ليقدم الكاتب رؤيته الفكرية فى أسلوب أدبى يؤثر فى النفوس.

(٢)

ويعرف عبد اللطيف حمزة فن المقالة فى عبارة بكثفة بقوله : «المقالة قطعة أدبية، تتناول موضوعًا محددًا، وتعرضه بصورة مركزة على جماعة القراء (الرأى لعام) وبأسلوب بسيط يخلو من التعقيد»(٢).

ويلتقط محمد يوسف نجم، والسيد مرسى أبو ذكرى هذا التعريف للمقال كفن أدبى معاصر، فيحاول كل منهما أن يرسخ له جذوراً فى الموروث العربى.

---

(١) أبو حيان التوحيدى، الإبداع والمؤانسة، طـ القاهرة ١٩٣٩ جـ١ ص ٥٩.

(٢) عبد اللطيف حمزة : أدب المقالة الصحفية، طـ دار الفكر العربى ـ القاهرة، ١٩٥٠، جـ١، ص ١٥.

فالأول يرى فى بعض رسائل الحسن البصرتى والجاحظ نماذج قديمة للمقال الحديث[1].

والثانى يرى فى مقدمة ابن قتيبة لكتاب (الشعر والشعراء) نموذجاً قديماً للمقال !

والحقيقة أن المقال فن حديث ظهر فى أدبنا العربى مع ظهور الصحافة العربية التى كانت من أهم إفرازات النهضة، والتى اقتضت بطبيعتها أن يكتب كبار الأدباء قطعاً من أدبهم، يعالجون فيها شئون الحياة المختلفة بأسلوب أدبى شيق، يجذب القراء للصحيفة، ولاتجاهها الفكرى والسياسى.

يعد رفاعة الطهطاوى أول كاتب للمقال فى العصر الحديث، وذلك منذ اختاره محمد على لتحرير (الوقائع المصرية) سنة ١٨٤١. ثم الخديوى إسماعيل لتحرير صحيفة (روضة المدارس) التى تعد أول مجلة تعنى بالعلوم والآداب فى تاريخنا وذلك سنة ١٨٧٠.

---

(١) محمد يوسف نجم : فن المقالة ط بيروت (د.ت)، ص ٢٨.

(٢) السيد مرسى أبو زكرى : المقال وتطوره فى الأدب المعاصر، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٧٠، ص ٤٠.



ونلاحظ على أسلوب رفاعة ورفاقه من مؤسسى المقال تقليداً ظاهراً للأدبيات النثرية الموروثة من (الرسائل والمقامات والخطب) حيث تزيد عنايتهم بالمحسنات البديعية فتطغى على عنايتهم بالموضوع.

(٣)

المقال الأدبي إذن ....

فن جديد فى الأدب العربى، نشأ فى العصر الحديث استجابة لضرورات سياسية واجتماعية، ومع نمو الوعى الوطنى والدعوة إلى الإصلاح فى كل الاتجاهات حيث اقتضب طريقة فى الكتابة عبر الصحافة الناشئة منذ منتصف القرن التاسع عشر الكتاب والمفكرين من توصيل آرائهم إلى قرائهم ... وكان طبيعياً أن يلجأ الكتاب إلى أسلوب يختلف عن «الأسلوب التقليدى المزركش»[1] الذى لجأ إليه كتاب «الرسائل» والخطباء فى الماضى، فكان هجر السجع وإيثار الترسل والبعد عن التكلف ...

أخذ الرواد من كتاب النهضة يكتبون مقالات فى شتى الموضوعات متأثرين بأسلوب النثر العربى الجيد، كما تجلى عند ابن المقفع وابن خلدون وغيرهما من الناثرين القدماء.

(١) عبد اللطيف حمزة : السابق ص ١٥.



وقد ساعد انتشار الصحافة والترجمة وكتابات المهاجرين الشوام فى مصر، على إرساء دعائم هذا الفن النثرى الجديد فى أدبنا العربى.

وكان الإمام محمد عبده (١٨٤٩ ـ ١٩٠٥) رائد الكتابة المقالية الناشئة الذى خلصها فى أسلوبه من التكلف وبذل جهداً فائقًا ومشهوداً ليصل بها إلى درجة ناضجة من بساطة العرض وموضوعية الأداء[1].

(٤)

تبلور فن المقالة الذى نضج على يد محمد عبده، وزملائه من رواد التنوير، فى صورة أكثر نضجا ورقيًا على يد مصطفى لطفى المنفلوطى (١٨٧٦ ـ ١٩٢٤)، الذى تميزت كتابته للمقالة ـ سيراً على طريق أستاذه محمد عبده ـ «دوماً بالبعد عن التكلف وعدم التقليد وتوخى الصدق، والاهتمام بالصياغة ومراعاة العواطف». ويذهب الدكتور أحمد هيكل إلى أن دور المنفلوطى فى كتابة المقال النثرى أشبه بدور شوقى فى الشعر.

(١) انظر أحمد هيكل : تطور الأدب الحديث فى مصر، طـ٤، دار المعارف، ١٩٨٢، ص ٧٤.

وكان المنفلوطى يتوجه إلى القراء بمقالاته عبر جريدة (المؤيد) الذى كان يصدرها الشيخ علي يوسف.

وقد بدأ المنفلوطى كتابتها منذ ١٩٠٨، ثم نشر المجلد الأول منها تحت عنوان (النظرات) ١٩٠٩، ثم تلاه بمجلدين، وقد وضع لنظراته عنوانا فرعيا هو (مقالات فى الأدب والأخلاق والاجتماع).

ورغم ازدهار كتابات المنفلوطى وإقبال القراء عليها الأمر الذى جعلها تطبع أكثر من عشرين طبعة حتى الآن إلا أن لنا عليها بعض الملاحظات :

١ ـ المبالغة فى العناية بالأسلوب على حساب الجانب الفكرى.

٢ ـ المبالغة فى إثارة العواطف والتأثير على المتلقى بطريقة تبدو مقصودة.

٣ ـ عدم توخى الدقة اللغوية ربما بسبب السرعة فى الكتابة.

٤ ـ الإكثار من الألفاظ غير الدالة، والترادف، والعبارات التفسيرية والتكميلية، (ألفاظ التوكيد)، مما يصيب بعض المقالات بالترهل.



(٥)

وإلى جانب طريقة المنفلوطي وجدت طريقتان تنتمي إحداهما إلى الأسلوب القديم، والثانية إلى أسلوب أكثر معاصرة.

أما الأولى فكانت أكثر تمسكا بالتراث ومخلفاته، فكان السجع وأسلوب المقامات سمة في مقالاتها الأدبية والأخلاقية والاجتماعية. وكان أحمد شوقي أمير الشعراء (١٨٦٩ ـ ١٩٣٢)، رائداً لهذا الاتجاه في النثر (المقالة المسجوعة)، في كتابه (أسواق الذهب) الذي صدر ١٩١٦، كما كان السيد توفيق البكري الرائد الثاني له في كتابه (صهاريج اللؤلؤ) ١٩١٢.

ويقول الدكتور هيكل إن هذا الاتجاه كان صحوة الموت بالنسبة للنثر البديعي المتكلف الذي لفظ آخر أنفاسه بعد سيطرة الاتجاه المرسل في فترة تالية[1].

أما الاتجاه الثاني ـ الأكثر معاصرة ـ فلم يكن يعنى بتجويد الصياغة، أو بتكلف السجع، كما يحدث في المقامات، لأن أصحابه لم يكونوا تراثيين، وإنما كان ولاؤهم للغرب وثقافته، فكان جل اهتمامهم بالجانب الفكري، فظهر ميلهم إلى

---

(١) انظر أحمد هيكل: المرجع السابق، ص ١٧٠.

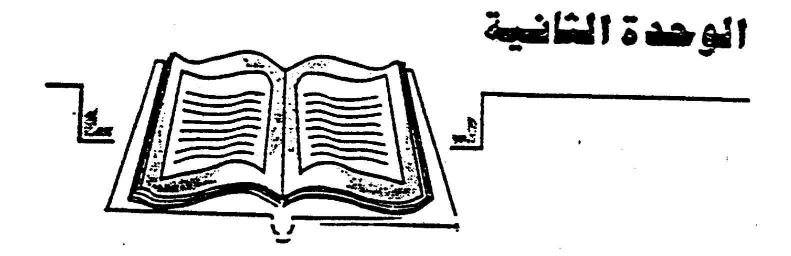


الموضوعية والمنطق، وجنحوا إلى الوضوح والدقة والترسل الكامل مع تحميل الكلام شحنة من الثقافة والفكر الغربيين وعلى رأس هذا الاتجاه يقف أستاذ الجيل أحمد لطفى السيد (١٨٧٢ - ١٩٦٣).

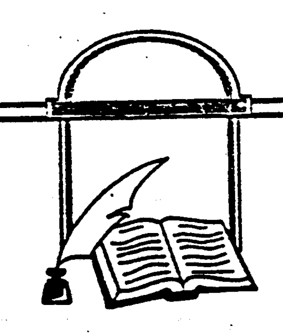
* * *



الوحدة الثانية



تطور فن المقال وتنوعه



تطور فن المقال وتنوعه

فى فترة الصراع الحزبى على السلطة (١٩٢٢ ـ ١٩٣٩) حيث ازدهرت الصحافة الحزبية وقامت بالتنافس على استكتاب الأدباء الكبار للتأثير على أكبر عدد من القراء. كما تعددت المجلات الثقافية والأدبية للتقدم الثقافى والوعى الأدبى، ومن الصحف السياسية والحزبية (البلاغ، وكوكب الشرق، والجهاد)، ومن الثقافية (الهلال، والمقتطف، والعصور، والرسالة، والمجلة الجديدة)[١].

ومن مظاهر الازدهار المقالى تعدد ألوان المقالات على النحو التالى :

---

(١) أحمد هيكل : المرجع السابق، ص ١٧٢.

المقالة الأدبية :

التى تدرس ظاهرة أو اتجاهاً أو شخصية أو أثراً أدبيًا قديماً أو حديثًا، أو شعراً قديماً أو معاصراً.

المقالة النقدية :

التى تحدد قيمة أو تشرح [illegible] أين يتم النقد ومبادئه واتجاهاته أو تطبق النظرية النقدية على دراسة لبعض الدواوين أو النصوص الأدبية.

المقالة الفلسفية :

التى تقدم للفلاسفة وتعرّف بنظرياتهم ومذاهبهم بلغة أدبية وأسلوب فنى.

المقالة التاريخية :

التى تعرض لفترة تاريخية أو شخصية وطنية ذات تأثير فى التاريخ فى لغة نثرية فنية.

المقالة الاجتماعية :

التى تتناول كل ما يهم المجتمع من موضوعات وقضايا اجتماعية وسياسية واقتصادية وتعليمية وخلقية وغيرها، يكتبها الأدباء غير المتخصصين فى هذه المعارف بأسلوب أدبى عاطفى.



المقالة التعبيرية :

التى يعبر فيها الكاتب عن شعوره أو انطباعه تجاه حدث أو موقف معين ... وفيها يقترب الكاتب من الشاعر فى صياغته وأسلوبه.

وقد جمع معظم الكتاب فى هذه الفترة مقالاتهم ونشروها فى كتب منها :

١ ـ حديث الأربعاء ـ لطه حسين، جريدة (السياسة الأسبوعية).

٢ ـ فى أوقات الفراغ ـ لمحمد حسين هيكل، جريدة (السياسة الأسبوعية).

٣ ـ مقالات فى الكتب والحياة ـ لعباس محمود العقاد، جريدة (البلاغ).

٤ ـ ساعات بين الكتب ـ لعباس محمود العقاد، جريدة (البلاغ).

٥ ـ حصاد الهشيم ـ لإبراهيم المازنى، جريدة (الأخبار لأمين الرافعى).

٦ ـ وقبض الريح ـ لإبراهيم المازنى، جريدة (الأخبار لأمين الرافعى).



والمتابع لهذه المقالات جميعها يمكنه أن يميز بين أساليبها فيرصد خمس طرق أسلوبية هي :

(أ) طريقة التصوير المتتابع (طه حسين) (١٨٨٩ ـ ١٩٧٣).

(ب) طريقة التعبير المحكم (العقاد) (١٨٨٩ ـ ١٩٦٤).

(ج) طريقة البيان المقطر (مصطفى صادق الرافعي) (١٨٨٠ ـ ١٩٣٧).

(د) طريقة البيان المنمق (أحمد حسن الزيات) (١٨٨٥ ـ ١٩٦٨).

(هـ) طريقة الأداء المصرى (إبراهيم المازنى) (١٨٨٩ ـ ١٩٤٩).



طرق الأداء المقالي الحديث :

(١) طه حسين :

التصوير المتتابع :

تتميز طريقة طه حسين فى كتابة المقال الأدبى بميزتين رئيسيتين هما :

١ ـ التصوير بالألفاظ والجمل.

٢ ـ تقديم المشاهد المتابعة التى ترسم شيئا (حسيا، خارجيا، أو جوا نفسيا، أو تجسم معنى أو تثير فكرة أو تعمق إحساساً).

وسائل طه حسين الأسلوبية :

(١) استخدام اللوازم فى البدء والانتقال والتفصيل ومن هذه اللوازم :

* ليس من شك.
* ومما لاشك فيه.
* مهما يكن من آخر.
* يحدث هذا حيناً ويحدث ذلك حيناً.
* يحدث فى كثير من الأحيان.



* تستطيع أن تسميه (كذا) أو (كيت).

* أنا زعيم لك بأنه ليس بكذا وإنما هو شيء أو غير (كذا) أو غير (كيت) جميعاً.

(٢) التنويه بالحديث إلى المخاطب يحتى يبدو وكأنه يحدث قارئه ولايكتب إليه».

(٣) السجع الخفيف غير المتكلف عند الحاجة إلى شيء من التنغيم، وسجعه لايأتي في نهاية الجمل كما هو مألوف وموروث وإنما يجيء غالبا بين كلمتين متجاورتين في جملة واحدة وقد يترافق مع السجع التقليدي (بين الجملتين).

«كان الشيخ مهيبا رهيبا، وكان فخما ضخما، قد ارتفعت قامته في السماء، وامتد جسمه في الفضاء»[1].

غير أن انشغال طه حسين بما يحقق التتابع من وسائل قد يؤدي إلى بطء الحركة في الأسلوب ويجعل صوره تشبه التصوير السينمائي البطيء.

وقد يخرج التكلف الأسلوبي - خاصة حين يستخدم التكرار - عن الإحكام فيقع في الاستطراد، غير أن هنا يحدث في بعض

(١) طه حسين : على هامش السيرة، طـ دار المعارف (د.ت) طـ٣، ص٦.



مقالاته دون معظمها التى يؤدى فيها التكرار دوراً فنياً، فهو يحدث التتابع وإبراز الجوانب الخفية من الصورة الكلية أو العامة التى تجسم رأيه أو فكرته.

* * *

(٢) عباس العقاد :

التعبير المحكم :

يعمد العقاد إلى أداء فكرته بألفاظ وجمل محكمة، يتوفر فيها القصد، والدقة، والتركيز، يقبض على المعنى قبل عنايته بالشكل.

مميزاته :

* يخلو من المقدمات.

* لايستخدم التكرار أو الاستطراد أو التوكيد.

* لايلجأ إلى السجع بقصد التنغيم إلا فى مواقف السخرية، ولا إلى الوسائل التى تخرج فى الأسلوب.

* الإبانة والإفصاح.

* الخيال البسيط الخالى من التلاعب بالعواطف.



* لكل مضمون شكله فما يحتاج إلى عاطفة من المقال تجده لغته أقرب إلى الشعر وما لايحتاج إلا للعقل تجده أقرب إلى لغة الفلاسفة بما فيها من جفاف أو غموض.

* الميل إلى التفصيلات المنطقية لا اللغوية واستخدام التضاد العقلى لا البديعى ...

* * *

(٣) الرافعي :

البيان المقطر :

استخدم البيان فى الأسلوب حيث راعى :

* جمال الصياغة ودسامة المعنى.

* تحميل المعانى، وتوليد الأفكار، ومزج الخواطر فى الجمل المجازية المركبة والاستعارية البعيدة، والكناية الخفيفة، والتشبيهات البسيطة.

يقول أحمد هيكل : كان أسلوب الرافعى فى النثر قريب الشبه من أسلوب أبو تمام فى الشعر ...

* استلهام المعجم القرآنى والسنى والتراثى.



* استخدام البديع بدقة خدمة للجانب البيانى كالسجع والجناس، أو الجانب المعنوى الذى يتطلب توليد المعانى كالمقابلة والتورية.

* * *

(٤) أحمد حسن الزيات :

البيان المنمق :

* العناية بالبيان فى الأسلوب.

* يعتمد على الأسلوب البيانى الذى يقوم على التنسيق والتنظيم (تساوى الجمل - تقابل الكلمات - توازى الفقرات). لتأليف لوحة بيانية «تتقابل خطوطها وتتعادل مسافاتها وتتوازن ألوانها».

* تنوع المقالات (أدبية واجتماعية وسياسية ووصفية).

عناصر الأداء :

(١) التجويد فى استخدام المحسنات البديعية :

* لتحقيق التناسق الصوتى (الجناس والسجع).

* لتحقيق التناسق المعنوى (المقابلة والطباق).



(٢) العناية بالإطار ورعاية جانب الشكل على حساب الجانب الفكرى.

يقول د. أحمد هيكل :

«يحس قارئ مقالة الزيات، أنه أمام عمل هندسى مصمم مقسم مهندم، قد اعتني فيه بالحرف والمقطع والكلمة، مثل العناية بالجملة والعبارة والفقرة، فلاتثقل كلمة وتخف كلمة، ولا تطول عبارة وتقصر عبارة، ولايوضع جزء من الجملة نشازاً دون جزء آخر يقابله ويسانده، ويكون معه عملاً جماليًا أساسه التناسق والتعادل[1].

* * *

(٥) إبراهيم المازني :

الأداء المصري :

* «يميل المازنى فى أسلوبه إلى أن يؤدى مشاعره وأحاسيسه وأفكاره وانطباعاته بروح مصرية» مليئة بالدعابة والسخرية والمفارقات.

(١) أحمد هيكل : المرجع السابق، ص ٣٩١.



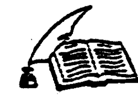
* البساطة واليسر فى التعبير.

* الألفاظ العادية والمألوفة للذائقة الشعبية المصرية (فصحى سهلة) أو قد يستخدم الألفاظ والعبارات الشعبية المصرية، كما يوظف المثل الشعبى ويرسم الصورة التى تستمد عناصرها من البيئة القاهرية.

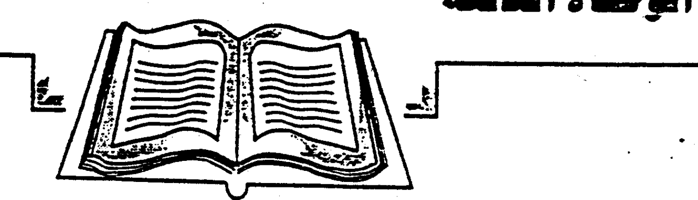
* قد يستخدم المازنى بعض الألفاظ الغريبة أو المغالية فى فصاحتها وذلك للسخرية وإظهار المفارقة والإضحاك «أيها الفطحل، إنه من الجهابذة، إنه شعر بالكظة».

* المحافظة على الإطار اللغوى الفصيح فى قواعده وتركيبه ومفرداته.

* * *

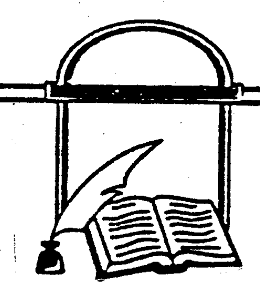


الوحدة الثالثة



المقال الأدبى

(نماذج نصية)



حب الوطن

لرفاعة رافع الطهطاوى

حب الوطن من الإيمان، ومن طبع الأحرار إحراز الحنين إلى الأوطان، ومولد الإنسان على الدوام محبوب، ومنشؤه مألوف له ومرغوب، ولأرضك حرمة وطنها كما لوالدتك حق لبنها، والكريم لايجفو أرضا فيها قوابله، ولاينسى داراً فيها قبائله، وإنى وإن ألبستني المحروسة (القاهرة) نعماً، ورفعت لى بين أمثالى علماً، وكانت أم الوطن العام، وولية الآلاء والأنعام، وأحبها حبًا جماً، لأنها ولية النعمى، فلازلت أتشوق إلى وطنى الخصوصى وأتشوقه وأتطلع إلى أخباره السارة وأتعرف، ولاأساوى بطهطا الخصبة سواها، فى القيام بالحقوق وإكرام مثواها :

منازل لست أهوى غيرها سقيت حيا يعم وخصت بالتحيات

خطأ العقلاء

محمد عبده

إن كثيراً من ذوى القرائح الجيدة، إذا أكثروا من دراسة الفنون الأدبية، ومطالعة أخبار الأمم وأحوالهم الحاضرة، تتولد فى عقولهم أفكار جليلة وتنبعث فى نفوسهم همم رقيقة، تندفع إلى قول الحق وطلب الغاية التى ينبغى أن يكون العالم عليها، ولكونهم اكتسبوا هذه الأفكار وحصّلوا تلك الهمم من الكتب والأخبار، ومعاشرة أرباب المعارف ونحو ذلك، تراهم يظنون أن وصول غيرهم إلى الحد الذى وصلوا إليه وسار العالم بأسره، أو الأمة التى هم فيها بتمامها ـ على مقتضى ما علموه ـ هو أمر سهل، مثل سهولة فهم العبارة عليهم، وقريب الوقوع، مثل قرب الكتب من أيديهم، والألفاظ فى أسماعهم، فيطلبون من الناس طلب حاث، أن يكونوا على مشاربهم، ويرغبون أن يكون نظام الأمة وناموسها العام على طبق أفكارهم، وإن كانت الأمة عدة ملايين، وحضرات المفكرين أشخاصاً معدودين، ويظنون أن أفكارهم العالية إذا برزت من عقولهم إلى حيز الكتب والدفاتر، ووضعت أصولاً وقواعد لسير الأمة بتمامها، ينقلب حال الأمة من



أسفل درك فى الشقاء إلى أعلى درج فى السيادة، وتتبدل العادات وتتحول الأخلاق، وليس بين الغاية النقص والكمال، إلا أن ينادى على الناس باتباع آرائهم، تلك ظنونهم التى تحدثهم بها معارفهم المكتسبة من الكتب والمطالعات، وإنهم وإن كانوا أصابوا طرفا من الفضل من جهة استقامة الفكر فى حد ذاته، وإيقاع الهمة وانبعاث الغيرة لكنهم أخطأوا خطأ عظيما، من حيث إنهم لم يقارنوا بين ما حصّلوه، وبين طبيعة الأمة التى يريدون إرشادها، ولم يختبروا قابلية الأذهان، واستعدادات الطبائع للانقياد إلى نصائحهم، واقتفاء اثارها».



المال
لأحمد شوقي

«يا مال الدنيا أنت، والناس حيث كنت، سحرت القرون، وسخرت من قارون، وسعرت النار بانيرون، تعود الحقد أن يحالفك، وكتب على الشر أن يخالطك ويؤلفك، الفتنة وإن حركتها اتقدت، وإن تركتها رقدت، والحرب وهى الحرب، تبعثها ذات لهب، منك الرياح ومنك الحطب، تزرى بالكرام، وتغرى بالحرام، وتضرى بالإجرام، فقدانك العز والضر، ونكد الدنيا على الحر، حالك وحال الناس عجب، تملكهم من المهد؛ ويقولون : أصبنا وملكنا، وترثهم عند اللحد؛ ويقولون ورثنا وتركنا.

من عاش قوموه بما ملك، ومن هلك، تساءلوا : كم ترك؟ المحروم من أوثقك، والضائع من أطلقك، وهما فقيران، من جمعك ومن فرقك، كثيرك هم، وقليلك غم، ومع التوسط الخوف والطمع، والحرص والجشع، حذر النقاد، ورغبة فى الازدياد، الملك سوقة إذا نزل إليك، والسوق ملك إذا علا عليك،

(١) أحمد شوقي : أسواق الذهب - دار الهلال - القاهرة ١٩٣٢ ص٦٧.



أرخصت الجمال، وأنقصت الكمال، وخطبت لهجن الرجال ربات الحجال، صويحباتك عن المفضلات، وغيرهن المتروكات المعطلات. العريان من ليس له منك سترة، والمستضعف من ليس له منك قدرة. فسبحان من قهر بك الخلق، وقهرك برجال الخلق.



أيها المحزون

لمصطفى لطفي المنفلوطي

إن كنت تعلم أنك قد أخذت على الدهر عهداً أن يكون لك كما تريد في جميع شئونك وأطوارك، وألا يعطيك ولايمنعك إلا كما تحب وتشتهي، فجدير بك أن تطلق لنفسك في سبيل الحزن عنانها كلما فاتك مأرب، أو استعصى عليك مطلب. وإن كنت تعلم أخلاق الأيام في أخذها وردها وعطائها ومنحها، وأنها لاتنام عن منحة تمنحها، حتى تكر عليك راجعة فتستردها، وأن هذه سنتها وتلك خلتها في جميع أبناء آدم، سواء في ذلك ساكن القصر وساكن الكوخ، ومن يطأ بنعله هام الجوزاء ومن ينام على بساط الغبراء، فخفض من حزنك، وكفكف من دمعك، فما أنت أول غرض أصابه سهم الزمان، وما مصابك أول بدعة طريفة في جريدة المصائب والأحزان.

أنت حزين لأن نجماً زاهراً من الأمل كان يتراءى لك في سماء حياتك، فيملأ عينيك نوراً، وقلبك سروراً، وما هي إلا كرة الطرف أن افتقدته فما وجدته.

(١) مصطفى لطفي المنفلوطي : النظرات) ط١٦، القاهرة سنة ١٩٥٧ ص٦١.

ولو أنك أجملت فى أملك، لما غلوت فى حزنك، ولو أنك أنعمت نظرك فيما تراءى لك، لرأيت برقًا خاطفًا، ما تظنه نجمًا زاهرًا، وهناك لايبهرك طلوعه، فلا يفجعك أفوله.

أسعد الناس فى هذه الحياة، من إذا وافته النعمة تنكر لها، ونظر إليها نظرًا المستريب بها، وترقب فى كل ساعة زوالها وفناءها، فإن بقيت فذاك، وإلا فقد أعَدّ لفراقها عدته من قبل لولا السّرور فى ساعة الميلاد، ما كان البكاء فى ساعة الموت، ولولا الوثوق بدوام الغنى، ما كان الجزع من الفقر، ولولا فرحة التلاق، ما كانت حرقة الفراق.



غرض الأمة هو الاستقلال

لأحمد لطفي السيد

استقلال الأمة في الحياة الاجتماعية، كالخبز فى الحياة الفردية، لاغنى عنه، لأنه لاوجود إلا به، وكل وجود غير الاستقلال مرض يجب التداوى منه، وضعف يجب إزالته، بل عار يجب نفيه ...

استقلال الأمة عمن عداها، أو حريتها السياسية حق لها بالفطرة، لاينبغى لها أن تتسامح فيه أو أن تنى فى العمل للحصول عليه، بل ليس لها حق التنازل عنه لغيرها، لا بكله ولا بجزئه لأن الحرية لاتقبل القسمة ولا تقبل التنازل، فكل تنازل من الأمة عن حريتها ـ كلها أو بعضها ـ باطل بطلانا أصليا، لاتلحقه الصحة بأى حال من الأحوال.

فلاجرم مع هذا المبدأ المسلم به عند علماء السياسة إن قلت : إنه يجب على الأمة أن توجه كل قواها ـ بغير استثناء ـ للحصول على وجودها، أى الحصول على الاستقلال.



الحب في شعر أبي ربيعة

لطه حسين[1]

.... وكان كل شيء فى حياة عمر وسيلة إلى الاتصال بالمرأة وذكرها والتحدث إليها، ولاسيما الحج، فلم يكن ابن أبى ربيعة يفهم من موسم الحج إلا أنه معرض إسلامى للجمال، كان إذا قرب الموسم اتخذ أجل ما كان يستطيع من زينة، وظهر فى مظهر الفتوة والقوة، وفارق مكة، فتعرض للحجيج فى طريق المدينة والشام والعراق، يتلمس نساءهم ويتبين هوادجهن، ويعرض منها لمن تظهر عليها آثار النعمة والترف، فإذا وافى الحجيج مكة وغيرها من مواضع المناسك، كان عمر قد أحصى النساء اللاتى يجب أن يكون بينه وبينهن لقاء أو حديث أو مكاتبة، وكانت له رسل تعمل فى ذلك فتأتيه المواعيد فى مكة حيناً، وفى منّى حيناً آخر. وكانت أحب ساعات الدهر إليه أوائل الليل من أيام الموسم، حيث ينتهز النساء فرصة الليل فيخرجن للطواف، هنالك كان عمر بن أبى ربيعة يترصدهن، ومنهن من كانت ترصده. وهنالك من كانت

---

(١) طه حسين : حديث الأربعاء، دار المعارف، القاهرة (د.ت) ص ٣٠٩.



تبتدئ الأحاديث لتتم بعيداً عن البيت، حتى إذا انتهى الموسم وأزمع الحجيج على العودة. إلى بلادهم، رأيت عمر مقسّما بين نساء المدينة ونساء الشام ونساء العراق، يشيع هذه ثم يعود فيشيع تلك، ثم يترك هاتين ليشيع امرأة أخرى.

وهو لايفرغ من تشييع امرأة إلا قال الشعر الجيد يسبقها إلى موطنها، ولا يلبث أن يسقط بين أيدى المغنيين، فإذا هو مصدر للهو والطرب لهذه الارستقراطية المترفة من أبناء قريش والأنصار فكان موسم الحج موسم شعر وغناء فى الحجاز.



الألم واللذة

لعباس محمود العقاد[1]

أما أن الألم موجود فى هذه الدنيا فمما لايختلف فيه اثنان، وأما أنه فوق ما تقبله النفوس فما لايختلف فيه إلا القليل، وأما أنه نافع أو غير نافع ومقدم للحياة أو مثبط لها، فذلك ما يختلف فيه الكثيرون.

ورأيى فى هذا الخلاف أن الألم ضرورة من ضرورات الحياة وحسنة من حسناتها فى بعض الأحيان، وحالة لاتتخيل الإنسانية بدونها على وجه من الوجوه.

أما تفصيل هذا الرأى، فهو أن الشعور بالنفس يستلزم الشعور بغير النفس، فهذه الـ «أنا» التى تقول وتجمل فيها خصائص حياتك ومميزات وجودك وتعرف بها نفسك مستقلا عما حولك منفرداً بإحساسك، هى نصيبك من الحياة الذى لانصيب لك غيره، وهى تلك «الذات» التى لاتشعر بها إلا إذا شعرت بشىء

(١) عباس محمود العقاد، مطالعات فى الكتب والحياة، طـ القاهرة ١٩٢٤. ص ٢٥٤ وما يليها.



مخالف لها فى هذا العالم الذى يحيط بها، فأنت لاتكون شيئاً له حياة ولذات وآلام ومحاب ومكاره، إلا إذا كان منها ما يلائمك، أو ما يسرّك وما يؤلمك.

فإذا أردت حياة لا ألم فيها فأنت تريد إحدى حياتين : فإما أن تكون وحدك فى هذا الوجود، وهذه حياة لايتخيل العقل كيف تكون، ولو تخيّلها لما أطاق احتمالها، وكيف ونحن نرى أن الأديان الكبرى كلها تعلمنا أن الله خلق ليعرفه غيره بعد أن كان ولاشىء سواه ؟؟

فإذا كانت النفس البشرية لاتقوى على أن تتصور إلهاً منفرداً بالوجود، فكيف تراها تطيق الحياة وحدها، أو تعد هذه الحياة المتوحدة غايتها وأمنيتها من السّعادة والخلوّ من الألم ؟؟

وإما أن تكون معك فى الوجود غيرك على ألا تحسّ به، أو على ألا يصدمّك من هذه الأشياء صادم ولا يقابلك منها ما ترى أن بينه وبين حياتك اختلافاً وفرقاً، وهذه هى أشبه الحالات بـ «النرفانا» البوذية، أو هى الموت بذاته فى صورة غير صورته المعهودة.

ولسّت أفرض لهاتين الحياتين حياة ثالثة، إلا أن يتمنى المرء أن تسرّه الأشياء الأخرى التى تصادمه فى هذا الوجود، فلايكون



إلا مبتهجًا راضيًا عن جميع حالاتها، وهذا كالجمع بين المتناقضات، لأن سره قرب شيء ساءه البعد عنه، ومن أرضاه أن يدرك أملاً أغضبه أن يحرمه. فإما حياة متشابهة من جميع الجوانب فيستوى فيها الخير والشر والحسن والقبح، بل لايكون فيها خير ولاشر ولاحسن ولاقبيح، بل لايكون فيها شيء تتمناه لأنك لاتحرم فيها شيئا فكيف تكون هذه الحياة هي رضى النفس وأمنيتها التي تتمناها ؟ وإما حياة تختلف جوانبها، ففيها النقيض ونقيضه، وفيها حينئذ ما يسر وما يسوء وما يلذ وما يؤلم.

وخلاصة هذه الفروض، أن النازل عن الألم نازل عن ذاته أو حياته في هذا العالم، وأن العقل الإنساني لن يستطيع أن يتخيل حياة مبرأة من الألم وإن كان يتمناها أحيانا ...

ولو أننا دفعنا خوف الألم يوما واحدًا من نفوس الأحياء لبادوا جميعًا في ذلك اليوم الواحد، ذلك أن أحدًا منهم لايبالي أن يخبط بجوار أو يسقط من علٍ أو يغرق في نهر أو يلقي بنفسه في المهالك التي فيها تلفه، وهو لايتحرك في غيبوبة فنحن إنما نحفظ حياتنا الحاضرة بذخيرة من الآلام السابقة، التي عاناها أسلافنا وتعلموا منها ما تعلموه من حيطة ومقدرة، ولا نكاد نضيف شيئا جديدًا على ما ادخروه من كنوز الحياة، حتى نسلك إليه من سراديب الألم وأنفاقه المظلمة.



ولولا أنني أعلم أن الحياة نفسها أكبر من الألم، وأنكر أنه كل شيء فيها، لقلت : إن الحياة هي قابلية الألم، وإننا كلما ازداد نصيبنا من الحياة ازداد معه قسطنا من الألم.

وليس معنى هذا بالبداهة أنني أمنع الشكوى على المتألمين، فإن الألم الذي لايشتكي صاحبه لافائدة فيه،. ولا أنني آبى العطف عليهم، فإن النفس التي تتسع للآلام تتسع للعطف عليها. ولكنني أعني أن أجعل الحياة أكبر من ألمها، وأن أقول إن الحياة التي نألم في سبيلها جديرة أن تكون شيئًا عظيما، لا أن أعكس الأمر كما يعكسه بعض الساخطين المتذمرين فأقول : إنها لحقيرة لأننا نألم في سبيلها.



حقيقة المسلم

لمصطفى صادق الرافعي [1]

لايعرف التاريخ غير محمد (ﷺ) رجلا أفرغ الله وجوده فى الوجود الإنسانى كله، كما نصب المادة فى المادة، لتمتزج بها، تحولها، فتحدث منها الجديد، فإذا الإنسانية تتحول به وتنمو، وإذ هو (ﷺ) وجود سارٍ فيها، فما تبرح الإنسانية تنمو به وتتحول.

كان المعنى الآدمى فى هذه الإنسانية كأنما وهن من طوال الدهر عليه يتحيفه ويمحوه ويتعاوده بالشر والمنكر، فابتعث الله تاريخ العقل بآدم جديد، بدأت به الدنيا تطورها الأعلى، من حيث يتصر الإنسان على ذاته، كما بدأ من حيث يوجد الإنسان فى ذاته، كما بدأت من حيث يوجد الإنسان فى ذاته، فكانت الإنسانية دهرها بين اثنين : أحدهما فتح لها طريق المجئ من الجنة، والثانى فتح لها طريق العودة إليها، كان آدم سر وجود الإنسانية، وكان فى محمد كمالها.

ولذا سمّى الدين (بالإسلام) لأنه إسلام النفس إلى واجبها، أى إلى الحقيقة من الحياة الاجتماعية، كأن المسلم ينكر ذاته

(١) مصطفى صادق الرافعى : مجلة الرسالة، ١٥ إبريل ١٩٣٥، ص ٢٥.



فيسلمها إلى الإنسانية تصرفها وتعتملها فى كمالا ومعاليها، فلاحظ له هو من نفسه يمسكها على شهواته ومنافعه، ولكن للإنسانية به الحظ.

وما الإسلام فى جملته إلا هذا المبدأ، مبدأ إنكار الذات وإسلامها طائعة على المنشط والمكره لفروضها وواجباتها، وكلما نكصت إلى متزعها الحيوانى أسلمها صاحبها إلى وازعها الإلهى. وهو أبداً يروضها على هذه الحركة مادام حيًا، فينتزعها كل يوم من أوهام دنياها ليضمها ما بين يدى حقيقتها الإلهية، يروضها على ذلك كل يوم خمس مرات مسمّاة فى اللغة خمس صلوات، لايكون الإسلام إسلامًا بغيرها، فلاغرْو كانت الصلاة بهذا المعنى كما وصفها النبى (ﷺ) : هى عماد الدين. بين ساعات وساعات فى كل مطلع شمس من حياة المسلم صلاة، أى إسلام النفس إلى الإرادة الاجتماعية الشاملة القائمة على الطاعة للفرض الإلهى، وإنكار لمعانيها الذاتية الفانية التى هى مادة الشر فى الأرض، وإقرارها لحظات فى حيز من الحيز المحض البعيد عن الدنيا وشهواتها وآثامها ومنكراتها، ومعنى ذلك كله تحقيق المسلم لوجود روحه، إذا كانت أعمال الدنيا فى جملتها طرقا تتشتت فيها الأرواح وتتبعثر، متى تظل روح الأخ عن روح أخيه فتنكرها ولاتعرفها.



وهذا الوجود الروحي هو مبحث الحالة العقلية التي جاء بها (الإسلام) ليهدى الإنسانية إليها. حالة السلام الروحي الذي يجعل حرية الدنيا المهلكة حرباً خارج النفس لا في داخلها، ويجعل ثروة الإنسان مقدرة بما يعامل الله والإنسانية عليه، فلا يكون ذهبه وفضته مما كتب عليه «ضرب في مملكة كذا»، ولكن ما يراه هو قد كتب عليه «صنع في مملكة نفسي» ومن ثم لا يكون وجوده الاجتماعي للأخذ فحسب، بل للعطاء أيضاً، فإن قانون المال هو الجمع، أما قانون العمل فهو البذل.

بالانصراف إلى الصلاة، وجمع النية عليها يستشعر المسلم أنه حطم الحدود الأرضية المحيطة بنفسه من الزمان والمكان وخرج منها إلى روحانية لا يحد فيها إلا بالله وحده.

وبالقيام في الصلاة يحقق المسلم لذاته معنى إفراغ الفكر السامي على الجسم كله ليمتزج بجلال الكون ووقاره، كأنه كائن منتصب مع الكائنات يسبح بحمده.

وبالتولي شطر القبلة في سمتها الذي لا يتغير على اختلاف أوضاع الأرض يعرف المسلم حقيقة الرمز للمركز الثابت في روحانية الحياة، فيتحمل قلبه معنى الاطمئنان والاستقرار على جاذبية الدنيا وقلقها.



وبالركوع والسجود بين يدى الله، يشعر المسلم نفسه معنى السمو والرفعة على كل ما عدا الخالق من وجود الكون. وبالجلسة فى الصلاة وقراءة التحيات الطيبات، يكون المسلم جالسًا فوق الدنيا يحمد الله ويسلم على نبيه وملائكته ويشهد ويدعو.

وبالتسليم الذى يخرج به من الصلاة يقبل المسلم على الدنيا وأهلها إقبالاً جديداً من جهتى السلام والرحمة.

وهى لحظات من الحياة كل يوم فى غير أشياء هذه الدنيا لجمع الشهوات وتقييدها بين وقت وآخر بسلاسلها وأغلالها من حركات الصلاة، ولتمزيق الفناء كل يوم خمس مرات عن النفس، فيرى المسلم من ورائه حقيقة الخلود، فتشعر روحه أنها تنمو وتتسع هى خمس صلوات، وهى كذلك خمس مرات يفرغ فيها القلب مما امتلأ به من الدنيا.



حول التجديد ـ من رسالة إلي صديق

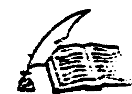
لأحمد حسن الزيات[1]

الجديد اليوم جديد فى مظهره، قديم فى جوهره، لايصلح موضعاً لدرس ولا موضوعاً لحديث.

ستقول إذن ما بال هذه القصائد الرائعة التى يجلوها الشعراء، والمقالات الرائعة التى يدبجها الكتاب! فأقول لك : إنك إذن تفهم من كلمتى القديم والجديد غير ما أفهم، وتريد من مدلولها غير الذى أريد. كأنك تريد بهما ما كان يريده الأقدمون حين كانوا يتمارون فى شعر امرئ قيس وجرير وأبى نواس وأبى تمام والبحترى والمتنبى وابن هانئ ... والأقدمون كما تعلم، إنما كانوا يختلفون فى شكل الشعر لا فى موضوعه، فهم يتكلمون فى اللفظ الجذل والركيك، والأسلوب الرصين والمهلهل، والمعنى المسروق والمطروق، والتشبيه المنتزع من وجوه البادية أو من صور الحضر، والمطلع الجيد والردئ، والتخلص الحسن والقبيح، ويجرون فى كل ذلك على

---

(١) أحمد حسن الزيات، فى أصول الأدب العربى، مطبعة الرسالة طـ٣، ١٩٥٢، ص ١٨٥.



أذواق تختلف باختلاف الطبقات والبيئات والصناعات والأجناس.
وعذرهم على ذلك واضح، فالشعراء لأسباب فطرية واجتماعية لم يقدموا إليهم إلا نوعًا واحدًا من الشعر هو ما يتعلق بالوجدان والعاطفة. كان النقاد أمام وحدة الشعر العربي ونقصه، مسوقين إلى أن يقصروا جهودهم على لفظة : يحكّون معدنه، يعجمون عوده، ويسبرون غوره، بالموازنة والمقارنة والتعقب. والشكل الخارجي حكمه حكم اللباس والأثاث والآنية : يتغير بتغير الزمان والمكان والحالة، ليس لأحد في ذلك حيلة.

فهل ترى أن أبانواس مجدد بالإضافة إلى امرئ قيس لأنه بدأ قصيدة بوصف الخمر، وتكلم في الغلمان والطرد ؟ أو أن المتنبي مجدد بالإضافة إلى أبي نواس لأنه داف شيئا من فلسفة اليونان في شعره ؟ أو أن مطرانًا مجدد بالإضافة إلى المتنبي لأنه ذكر القطار والكهرباء، ولوّن أدبه بأدب الغرب ؟ إنى لا أرى في مثل هذا التفاوت الظاهر تجديداً مادام الشعر قد ظل في كل هذه العصور واحداً في موضوعه وطريقه ونوعه ووزنه، أما تغير الشكل فذلك فعل القانون العام الذي يغير أبداً كل شيء.

وهل قصد أحد من هؤلاء وأولئك إلى هذا التجديد المزعوم نجاهد في سبيله أهل جيله، كما فعل أرباب المذهب الابتداعي



Classique والابتداعى Romantique والواقعى Reafiste فى فرنسا مثلا ؟ لم يكن شيء من ذلك، لأنهم لم يختلفوا كما اختلف الفرخ فى الموضوع والينبوع حتى تتباين الأغراض من تلك المواضيع، وتتشعب المسالك إلى هذه الينابيع وهل سمعت أن الناس اختلفوا يوم تركوا العلبة إلى الكوز والكوب والقدح والجام ؟ أم علمت أنهم اختصموا كلما تغيرت موادها من الجلد إلى الخشب ثم إلى الخزف ثم إلى الزجاج ثم إلى المعدن ؟ كلا ! لم يسمع أحد بذلك، لأن اللبن والماء هما القصد والغية لم يتغيرا منذ خلقهما الله. أمّا حين تغير الشراب من اللبن إلى الخمر فقد حدث الخلاف وتشعب الرأى وتعددت المذاهب الحق إن التجديد لايحدث والجديد لايكون، إلا متى وجد القصص والتمثيل والشعر فيكمل، ودخلت الأقصوصة والقصة والرواية فى النثر فيتم، أما ادعاء التجديد بالدعوة إلى العامية وترجمة الأساليب الغربية فعجز يتظاهر بالقدرة، وجهل يتستر بالتحذلق !!



بين القراءة والكتابة

لإبراهيم عبد القادر المازني[1]

مضت شهور لم أكتب فيها كلمة في الأدب، لأني كنت أقرأ ! والقراءة والكتابة عندى نقيضان، وقد كنت ـ ومازلت ـ امرءًا يتعذر عليه ولايتأتى له، أن يجمع بينهما في فترة واحدة. ولكم أطلت الفكر في ذلك فلم يفتح الله عليّ بتعليل يستريح إليه العقل ويأنس له القلب.

وما أظن بي إلا أن الله جلت قدرته قد خلقني على طراز «عربات الرش» التي تتخذها مصلحة التنظيم ـ خزان ضخم يمتلئ ليفرغ، ويفرغ ليمتلئ ! .. وكذلك أنا فيما أرى، أحسّ الفراغ في رأسي، وما أكثر ما أحسّ ذلك ! فأسرع إلى الكتب ألتهم ما فيها وأحشو بها دماغي، هذا الذى خلقه الله لي خلقة عربات الرش كما قلت !! حتى إذا شعرت بالكظة وضايقني الامتلاء، رفعت يدي عن ألوان هذا الغذاء، وقمت عنه متثاقلا متثائبًا من التخمة، فلا ينجيني إلا أن أفتح الثوب وأسح، وهكذا دواليك !!

---

(١) إبراهيم عبد القادر المازني .. قبض الريح .. القاهرة ١٩٤٨، ص[illegible] وما يليها.



ولكم قلت لنفسي أهذا الذي ركبه الله لك يا مازني بين كتفيك، رأس كرءوس الناس، أم معدة أخرى ؟!! وأداة نظر وإدراك وتفكير هو، أم مخزن يكتظ حيناً ويخلو أحياناً تبعاً لانتقال الأحوال بك ؟ والحق أقول إن الجواب يعييني ! وإذا لم أكن قد ركبت من الوهم شر الحمير !

فالناس في الأكثر والأعم إنما يعالجون الكتابة لأن في رءوسهم فكرة أو خالجة، كائنة ما كانت، يبغون العبارة عنها والإفصاح بها، ولست أرى كذلك. ولقد يخيل إليّ في بعض الأحيان أن في نفسي معنى معيناً، ويؤكد ذلك عندي ويقرر اعتقادي به، ما أحسه من جيشان الصدر واضطرابه، فأذهب ألتمس هذا المعنى أو الخاطر فإذا به قد تبخر ! وإذا بي كابني حين يجلس بجانبي ويحاول أن يقبض على الدخان الذي يتصاعد من سيجارتي، وأنا أضحك من هذا الذي يحاوله، وألهو به وأقول : إنه يجرب في عالم المحسوسات بعض ما أعانيه في عالم المعنويات !!

وأحيانا أفعل هذا؛ أسأل نفسي (أفي رأسك شيء ؟) وأعني بالشيء ماله قيمة، لا أي شيء على الإطلاق، فتساورني الشكوك، فأنقر بأصبعي على جوانب رأسي كمن يريد أن يتبين من الرنين مبلغ الخلو !



وربما أسفت لأنى لاأستطيع أن أتناوب رأسى هذا وأن أقلبه بين كفى وأن أفعل به ما يفعل المرء حين يختبر البطيخ !!

وأمرى مع الكتب أغرب، كنت فى أول عهدى بها ـ أى منذ عشرين سنة أو نحو ذلك ـ أذهب فى أول كل شهر إلى واحد من باعتها. فيتقدم إلىّ العامل سائلاً عن حاجتى فأبينها له، فيرفع رأسه إلى الرفوف ويدور حول نفسه وهو فى مكانه، ثم يلتفت إلىّ وعلى شفته ـ دون عينيه ـ ابتسامة جهل وغباء، ويهز لى رأسه أسفًا، فأنحيه عن الطريق وأمضى إلى الرفوف وأجيل عينى وآخذ منها ما يروقنى وأنصرف عن الحانوت بأثقل من حمل حمار !! وأغرق فيها بقية الشهر إلى ما فوق الأذنين، إن كان فوقهما شىء يستحق الذكر !!

وإنى لأمر الآن بالمكاتب فأشيح بوجهى عنها وأغمض عينى دونها، ويردنى الكتاب بكرهى فأتركه حيث يقع، وأهمله الأسابيع والشهور، وإذا فتحته اكتفيت بأن أعبره تزجية للوقت، ولم أبال من أى موضع بدأت، وسيان عندى أن أقرأه من أوله إلى آخره، أو من آخره إلى أوله، أو أن لا أقرأه.

وقد تعاودنى الحمى القديمة، ويتأوبنى الحنين الماضى إلى الكتب، فأدافع نفسى عنها ما استطعت، فإن عجزت وغلبت على



أسرى، طاوعتها على حذر وسايرتها متحفزاً، وذهبت أتخيّر لها الكتب وأنتقيها. ومهما يكن من الأمر، فلست الآن ذلك الذى كان كأنما يعبد منها دمىً وأصنامًا، ولقد غنمت أول فرصة سنحت فبعتها جملة وتحريت بعد ذلك أن أزداد جهلاً.

ولكن الزامر يموت وأصابعه تلعب ! كما يقول المثل العامى. وللعادة حكم لا يقوى المرء كل حين على مغالبته. والنفس لاتطاوع المرء دائما على ما يريدها عليه من الخمود والتبلد. وقد يزعج المرءَ أن يرى نفسه يقضى أيامه بطين الجسد وحده، أو بموتها على الأصح، فإن من الموت أن يستحيل الإنسان جثة خامدة المتقد لاينقصها إلا الرمى، وما لا يصح سلوى ومتعة قد لايصلح دواء، وعسير على من تعود أن يحسّ الحياة بأعصابه العارية أن يروّض نفسه على بالتبلد ويخلد إلى الركود، فلاعجب إذا كنت أقبل على المطالعة حيناً بعد حين.

* * *





المحتويات

* تقديم.

* إهداء.

* الوحدة الأولى : المقال الأدبى .. دراسة تاريخية وفنية.

* الوحدة الثانية : تطور فن المقال وتنوعه.

* الوحدة الثالثة : المقال الأدبى (نماذج نصية) :

١ ـ حب الوطن ... لرفاعة الطهطاوى.

٢ ـ خطأ العقلاء ... لمحمد عبده.

٣ ـ المال ... لأحمد شوقى.

٤ ـ أيها المحزون ... لمصطفى لطفى المنفلوطى.



٥ ـ غرض الأمة هو الاستقلال ... لأحمد لطفى السيد.

٦ ـ الحب فى شعر عمر بن ربيعة ... لطه حسين.

٧ ـ الألم واللذة ... لعباس محمود العقاد.

٨ ـ حقيقة المسلم .... لمصطفى صادق الرافعى.

٩ ـ حول التجديد .... لأحمد حسن الزيات.

١٠ ـ بين القراءة والكتابة ... لإبراهيم عبد القادر المازنى.

